التَّعْلِيقُ عَلَى بَابٍ مِنْ كِتَابِ الشَّرِيعَةِ لِلْإِمَامِ الْآجُرِّيِّ: (بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ)

تَأْلِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ رَبِيعِ بْنِ هَادِي عُمَيْرٍ الْمَدْخَلِيِّ

شَرْحُ (بَابِ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ) مِنْ كِتَابِ الشَّرِيعَةِ

شَرْحُ وَتَعْلِيقُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ رَبِيعِ بْنِ

هَادِي الْمَدْخَلِيِّ -حَفِظَهُ اللّٰهُ-

الشَّرِيطُ الْأَوَّلُ : (ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢١ هـ)

- قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيُّ -رَحِمَهُ اللّٰهُ- : (الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ،وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ : فَاعْلَمُوا – رَحِمَنَا اللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ – أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ،لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ ، فَيَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَكَانَ مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ ،نَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ ،وَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا فَإِلَى الْجَنَّةِ ،فَلَمَّا آمَنُوا بِذَلِكَ ،وَأَخْلَصُوا تَوْحِيدَهُمْ ،فَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ ،فَصَدَّقُوا بِذَلِكَ ،وَآمَنُوا وَصَلَّوْا .

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْهِجْرَةَ ،فَهَاجَرُوا ،وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ .

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ بِالْمَدِينَةِ الصِّيَامَ فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ .

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةَ فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا أُمِرُوا .

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادَ فَجَاهَدُوا الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ، وَصَبَرُوا وَصَدَّقُوا .

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَجَّ ، فَحَجُّوا ، وَآمَنُوا بِهِ .

فَلَمَّا آمَنُوا بِهَذِهِ الْفَرَائِضِ ،وَعَمِلُوا بِهَا تَصْدِيقًا بِقُلُوبِهِمْ ،وَقَوْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ ،وَعَمَلًا جَوَارِحِهِمْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ،وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ،وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ ،وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) .

ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ،حَالًا بَعْدَ حَالٍ ،وَسَنَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ،وَهَذَا رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ.

فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ : (مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

قِيلَ لَهُ : هَذِهِ كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ ،عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، مِمَّنْ نَعَتَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِلْمِ ، وَكَانُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ ، سِوَى الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وَقَوْلِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي كُلِّ بَلَدٍ .

وَسَنَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ،وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ ،وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ ،وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَرَاطِيسِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾، قَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَلَمَّا صَدَّقَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ زَادَهُمُ الصَّلَاةَ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا

بِهَا زَادَهُمُ الصِّيَامَ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الزَّكَاةَ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا زَادَهُمُ الْحَجَّ ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الْجِهَادَ ، ثُمَّ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ يَحُجُّونَ جَمِيعًا ، فَلَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةُ نُفِيَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَحَجَّ الْمُسْلِمُونَ لَا يُشَارِكُهُمْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ ، أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ . حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّفَّارُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِصِّيصِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْإِيمَانِ ؟ فَقَالَ : قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، قَالَ : يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ؟ قَالَ : يَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ مِثْلُ هَذِهِ ،وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ ، قَالَ الرَّجُلُ : كَيْفَ نَصْنَعُ بِقَوْمٍ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ ؟

قَالَ سُفْيَانُ : كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَهُمْ قَبْلَ أَنْ تُقَرَّرَ أَحْكَامُ الْإِيمَانِ وَحُدُودُهُ ،إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ كَافَّةً أَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، فَلَمَّا قَالُوهَا ، عَصَمُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ،فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا ،فَوَ اللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ ،فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ،فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا ،فَوَ اللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ ،فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، أَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ لِيُقَاتِلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،حَتَّى يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ ، وَيُصَلُّوا صَلَاتَهُمْ ،وَيُهَاجِرُوا هِجْرَتَهُمْ ،فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا ،حَتَّى أَتَى أَحَدُهُمْ بِرَأْسِ أَبِيهِ ،فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ،هَذَا رَأْسُ شَيْخِ الْكَافِرِينَ ،فَوَ اللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ ،وَلَا صَلَاتُهُمْ ،وَلَا هِجْرَتُهُمْ ،وَلَا قِتَالُهُمْ ،فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ تَعَبُّدًا ،وَأَنْ يَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ تَذَلُّلًا فَفَعَلُوا ،فَوَ اللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ ،وَلَا صَلَاتُهُمْ

،وَلَا هِجْرَتُهُمْ ،وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ ،فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً يُطَهِّرُهُمْ بِهَا ،فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا ، حَتَّى أَتَوْا بِهَا ،قَلِيلِهَا وَكَثِيرِهَا ،فَوَ اللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ ،وَلَا صَلَاتُهُمْ ، وَلَا هِجْرَتُهُمْ ،وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ ،وَلَا طَوَافُهُمْ ،فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِيمَا تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ وَحُدُودِهِ ،قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : قُلْ لَهُمْ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .قَالَ سُفْيَانُ : فَمَنْ تَرَكَ خَلَّةً مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ كَانَ بِهَا عِنْدَنَا كَافِرًا ،وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا أَوْ تَهَاوُنًا بِهَا أَدَّبْنَاهُ ،وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا ،هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلِغْهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ) انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ الْآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ رَبِيعُ بْنُ هَادِي الْمَدْخَلِيُّ –كَانَ اللّٰهُ لَهُ – :

الْحَمْدُ لِلهِ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَ مَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ – رَحِمَهُ اللّٰهُ – (بَابُ تَعْرِيفِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ) : يَعْنِي بَيَانَهَا وَتَفْصِيلَهَا وَتَوْضِيحَهَا ،الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ،وَلَعَلَّهُ يَأْتِي بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ .

قَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ : (أَمَّا بَعْدُ فَاعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ وَ إِيَّاكُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ) :

فَاللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً قَالَ تَعَالَى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَ نَذِيرًا) إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا عَرَبِهِمْ وَ عَجَمِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ وَأَبْيَضِهِمْ وَأَحْمَرِهِمْ ،فَرِسَالَتُهُ عَامَّةٌ ،تَمَيَّزَ بِهَا عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،فَهَذَا مِنْ مِيزَاتِهِ وَ خُصُوصِيَّاتِهِ ،إِذْ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً مِنْ عَهْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَهَذِهِ الْأُمَمُ بَعْدَهُ كُلُّهَا يَلْزَمُهَا تَصْدِيقُ هَذَا الرَّسُولِ وَاتِّبَاعُهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ :

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)

وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

فَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ،أَمَّا هَذَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، بِهِ خُتِمَتِ الرِّسَالَاتُ وَ النُّبُوَّاتُ ،فَلَابُدَّ أَنْ تُؤْخَذَ رِسَالَتُهُ هَذَا الْمَأْخَذَ ؛فَتَشْمَلَ الْأُمَمَ كُلَّهَا وَالشُّعُوبَ كُلَّهَا مِنْ عَهْدِ بَعْثَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ) :

أَوَّلًا: بِتَوْحِيدِ اللهِ ،بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ،لِمَاذَا ؟ لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،بِأَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَيُخْلِصُوا الدِّينَ لَهُ

وَيَأْتَمِرُوا بِأَوَامِرِهِ وَيَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ وَ يَتَّبِعُوا رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

هَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُعِثَ بِهَا جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،مَا مِنْ نَبِيٍّ ابْتَعَثَهُ اللهُ إِلَى أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا كَانَ أَوَّلُ مَا

يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تَرْجَحُ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ،لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتِ السَّمَاوَاتُ بِمَا فِيهِنَّ سِوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْأَرَضِينَ بِمَا فِيهِنَّ فِي كِفَّةٍ لَمَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،فَهِيَ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا مَكَانَةَ التَّوْحِيدِ وَمَكَانَةَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) .

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،كَانَ يُقَالُ نُوحٌ رَسُولُ اللهِ وَهُودٌ رَسُولُ اللهِ وَصَالِحٌ رَسُولُ اللهِ ،فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولُهَا: مَنْ بُعِثَ إِلَيْهَا .

وَهَذِهِ الْأُمَّةُ رَسُولُهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،سَوَاءٌ أُمَّةُ الْإِجَابَةِ أَوْ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ ،رَسُولُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،وَقَدْ صَدَعَ فِيهِمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَبَلَّغَ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ بَلْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لَا يَقُولُهَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا) .

قَالَ الْمُصَنِّفُ : (فَكَانَ مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ ،نَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ) :

فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَ الرَّسُولُ لَا يَدْعُوا إِلَّا إِلَى التَّوْحِيدِ ،وَلَمْ تُشْرَعِ الصَّلَاةُ وَهِيَ أَوَّلُ الشَّرَائِعِ وَأَصْلُهَا الثَّانِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَعَمُودُ الْإِسْلَامِ ،وَلَمْ تُشْرَعْ هَذِهِ الصَّلَاةُ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْبَعْثَةِ كَمَا ذَهَبَ إِلَى هَذَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَبْلَهَا مَا كَانَتْ مِنَ التَّكَالِيفِ ، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي هُوَ وَأَصْحَابُهُ تَطَوُّعًا ،لَكِنَّ الْفَرِيضَةَ جَاءَتْ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ،يُنَادِي قَوْمَهُ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لِيَقُولُوهَا ،وَحَارَبُوهُ وَآذَوْهُ وَفَتَنُوا أَصْحَابَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا وَعَذَّبُوا مَنْ عَذَّبُوا فَقَطْ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَظِيمَةً وَكَانَتْ صَعْبَةً عَلَيْهِمْ وَكَانَ مَعْنَاهَا تَدْمِيرَ آلِهَتِهِمْ وَخَلْعَهَا وَالِانْسِلَاخَ مِنْ عِبَادَتِهَا ،وَهُنَاكَ رُؤَسَاءُ لَهُمْ مَصَالِحُ فِي هَذِهِ الدِّيَانَةِ الْكَافِرَةِ فَنَاهَضُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَلَّبُوا عَلَيْهِ وَحَذَّرُوا مِنْهُ وَوَصَفُوهُ بِالسِّحْرِ وَبِالْجُنُونِ وَبِالْكَذِبِ وَ بِـ ... وَ بِـ ... الخ .

كَمَا ابْتُلِيَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،الْأَنْبِيَاءُ ابْتُلُوا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ،وَوَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ

مَا يُؤْذَوْنَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ . كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَهَا لَفْظًا وَلَا يُحَقِّقُونَ مَعْنَاهَا وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلهِ وَ الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَ النَّذْرِ لَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِلَى آخِرِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ .

الشَّاهِدُ : الْمُصَنِّفُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ : كَيْفَ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِالتَّدَرُّجِ ،وَ كَانَ كُلَّمَا جَاءَ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ آمَنَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَطَبَّقُوهُ كَمَا أَرَادَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،فَفَرَضَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الشَّهَادَةَ فَقَالُوهَا صِدْقًا وَ يَقِينًا دَانَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ وَخَضَعَتْ لَهَا رِقَابُهُمْ وَنَطَقَتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ صَادِقِينَ مُخْلِصِينَ مُوقِنِينَ بِذَلِكَ فَكَانَ هَذَا هُوَ الْإِسْلَامَ .

مَنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ تُشْرَعَ الصَّلَاةُ وَلَمْ يُصَلِّ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ ثُمَّ فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَ لَقِيَ الْأَنْبِيَاءَ ، فِي كُلِّ سَمَاءٍ يَلْقَى نَبِيًّا ، آدَمَ وَ عِيسَى ...الخ تَكْرِيمًا لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،ثُمَّ تَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى وَ سَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ وَنَادَاهُ رَبُّهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَكَلَّفَهُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً ، فَلَمَّا رَجَعَ مَرَّ عَلَى مُوسَى فَقَالَ : (مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ : رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: حَطَّ عَنِّي خَمْسً قَالَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ،فَلَمْ يَزَلْ يَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كُلُّ صَلَاةٍ بِعَشْرٍ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً . ثُمَّ نَزَلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) .

فَفَرَضَ اللهُ هَذِهِ الصَّلَاةَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ بَيَّنَ أَوْقَاتَهَا ،وَنَزَلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّى بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ صَلَاةٍ وَهِيَ الظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ ثُمَّ الْمَغْرِبُ ثُمَّ الْعِشَاءُ ثُمَّ الْفَجْرُ فِي أَوَائِلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ ،وَجَاءَ فِي الْيَوْمِ

الثَّانِي فَصَلَّى بِهِ فِي أَوَاخِرِ أَوْقَاتِهَا وَقَالَ : الصَّلَاةُ بَيْنَ هَذَيْنِ فَبَيَّنَهَا اللهُ بَيَانًا كَافِيًا لِهَذَا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا ، فَطَبَّقُوهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ آمَنُوا بِهَا وَالْتَزَمُوهَا وَطَبَّقُوهَا ، فَكَانُوا فِي هَذِهِ الْحَالِ مَا عِنْدَهُمْ إِلَّا الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةَ ،مَنْ مَاتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَلَمْ يُقَدِّمْ مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ إِلَّا الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةَ مَاتَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا .

قَالَ الْمُصَنِّفُ : (ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْهِجْرَةَ ، فَهَاجَرُوا ، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ)

ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْهِجْرَةَ يَعْنِي بَعْدَ فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ بِسَنَةٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِي الْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ أَصْحَابُهُ تِبَاعًا ثُمَّ لَحِقَ بِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَصْحَبُهُ أَبُو بَكْرٍ فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ دِينِهِمْ ،تَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَقْرِبَاءَهُمْ وَآبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ مِنْ أَجْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ ،نُصْرَةً لِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،فَشُرِعَتِ الْهِجْرَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،إِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ فِي بَلَدٍ كَافِرٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقِيمَ شَعَائِرَ دِينِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُهَاجِرَ ، الْهِجْرَةُ مَفْرُوضَةٌ عَلَى

الْمُسْلِمِينَ وَشَرِيعَةٌ قَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمُ .

عَجَزَ فِي بَلَدٍ مَا عَنْ إِقَامَةِ شَرَائِعِ دِينِهِ ،فَعَلَيْهِ أَنْ يُهَاجِرَ وَيَتْرُكَ أَمْوَالَهُ وَأَبْنَاءَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَوَطَنَهُ لِأَجْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَمَعَ الْأَسَفِ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ يُهَاجِرُونَ مِنْ أَوْطَانِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْكُفْرِ وَيَعِيشُونَ أَذِلَّاءَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُقِيمُوا شَعَائِرَ دِينِهِمْ مَعَ الْأَسَفِ ،وَفِي غَايَةِ الذُّلِّ وَفِي الْمِهَنِ الدَّنِيئَةِ وَالْحِرَفِ السَّاقِطَةِ ،ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَرَّضُ أَبْنَاؤُهُمْ لِلتَّنْصِيرِ وَالتَّكْفِيرِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْإِلْحَادِ أَوْ إِلَى مَا شَاءَ أَعْدَاءُ اللهِ .

(وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْوَطَنَ)

لِأَجْلِ مَاذَا ؟ لِأَجْلِ هَذَا الدِّينِ لِأَجْلِ لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلِأَجْلِ الصَّلَاةِ .وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَا فُرِضَتِ الزَّكَاةُ وَلَا الصَّوْمُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا شَيْءٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ؛ عِنْدَهُمْ هَذَانِ الرُّكْنَانِ التَّوْحِيدُ وَالصَّلَاةُ .

هَاجَرُوا وَاللهِ مِنْ أَجْلِهِمَا وَأُوذُوا وَعُذِّبُوا مِنْ أَجْلِهِمَا .كَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي فِي مَكَّةَ فَيَتَقَصَّفُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ ،يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ

وَيَبْكِي فَتَرِقُّ النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ فَيَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ ،فَآذَوْهُ وَاضْطَرُّوهُ إِلَى الْهِجْرَةِ فَخَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَى الْيَمَنِ أَوِ الْحَبَشَةِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ – حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ (مَكَّةُ) وَأَصَابَهُ فِيهَا الْأَذَى وَرَأَى مِنْ تَظَاهُرِ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مَا رَأَى اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْهِجْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ .

فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُهَاجِرًا حَتَّى إِذَا سَارَ مِنْ (مَكَّةَ) يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ – أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ – وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ .

فَقَالَ [ابْنُ الدَّغِنَةِ] : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟

قَالَ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي وَضَيَّقُوا عَلَيَّ .

قَالَ : وَلِمَ ؟ وَاللهِ إِنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ وَتُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ارْجِعْ فَإِنَّكَ فِي جِوَارِي .

فَرَجَعَ مَعَهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ (مَكَّةَ) قَامَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَلَا يَعْرِضْ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ قَالَ : فَكَفُّوا عَنْهُ .

قَالَتْ : وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحَ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى .

قَالَتْ : فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصِّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنِّسَاءُ يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ .

قَالَ : فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَالُوا : يَا ابْنَ الدَّغِنَةِ إِنَّكَ لَمْ تُجِرْ هَذَا الرَّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا إِنَّهُ رَجُلٌ إِذَا صَلَّى وَقَرَأَ يَرِقُّ وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضُعَفَائِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ فَأْتِهِ فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ .

قَالَتْ : فَمَشَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ وَقَدْ كَرِهُوا مَكَانَكَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ وَتَأَذَّوْا بِذَلِكَ مِنْكَ فَادْخُلْ بَيْتَكَ فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ .

قَالَ : أَوَ أَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ .

قَالَ : فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي . قَالَ : قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ .

قَالَ : فَقَامَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوَارِي فَشَأْنَكُمْ بِصَاحِبِكُمْ) . صَحِيحُ السِّيرَةِ لِلْأَلْبَانِيِّ ص(٢١٢-٢١٣)

فَخَرَجَ مِنْ ذِمَّتِهِ وَتَحَمَّلَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ دِينِهِ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ،تَحَمَّلَ الْأَذَى حَتَّى أَذِنَ اللهُ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ: (ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ بِالْمَدِينَةِ الصِّيَامَ فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ)

الْتَزَمُوا هَذِهِ الشَّعِيرَةَ الْجَدِيدَةَ هَذَا الرُّكْنَ الْإِسْلَامِيَّ الْعَظِيمَ ؛ الْتَزَمُوهُ وَطَبَّقُوهُ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ: (ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةَ فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا أُمِرُوا) :

كُلَّمَا جَاءَتْهُمْ شَرِيعَةٌ آمَنُوا بِهَا وَصَدَّقُوا بِهَا وَعَمِلُوا بِهَا .

قَالَ الْمُصَنِّفُ: (ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادَ فَجَاهَدُوا الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ، وَصَبَرُوا وَصَدَّقُوا)

كُلَّمَا أَتَتْهُمْ شَرِيعَةٌ آمَنُوا بِهَا وَمَا تَنَصَّلُوا مِنْهَا وَمَا قَالُوا : شَقَّتْ عَلَيْنَا ؛لَيْسُوا كَبَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يُعَانِدُونَ كُلَّمَا جَاءَتْهُمْ شَرِيعَةٌ تَمَلَّصُوا مِنْهَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ إِلَّا مَنْ وَفَّقَ اللهُ مِنْهُمْ .

وَقَرَأْتُمْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ كَيْفَ تَعَنَّتُوا عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،وَكَذَلِكَ لَمَّا أُعْلِنَ الْجِهَادُ كَيْفَ تَعَنَّتُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فَكَانَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ كَمَا مَدَحَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ: (فَلَمَّا آمَنُوا بِهَذِهِ الْفَرَائِضِ ، وَعَمِلُوا بِهَا تَصْدِيقًا بِقُلُوبِهِمْ ، وَقَوْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَعَمَلًا بِجَوَارِحِهِمْ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾) .

هَذِهِ مَا مِنْ قَضِيَّةٍ تَقْرِيبًا إِلَّا وَخَالَفَ فِيهَا الْمُرْجِئَةُ ؛فَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ يَقُولُ : الْإِيمَانُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ وَلَا يَلْزَمُ النُّطْقُ بِاللِّسَانِ وَلَا الْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ قَبَّحَهُمُ اللهُ ،يَعْنِي إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ

وَكُلُّ الْكُفَّارِ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنُونَ ،فَهَذَا مَذْهَبٌ خَبِيثٌ فِي غَايَةِ الْخُبْثِ .

(تَصْدِيقًا بِقُلُوبِهِمْ وَقَوْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ) :

نَوْعٌ مِنَ الْمُرْجِئَةِ وَهُمْ مُرْجِئَةُ الْفُقَهَاءِ يَقُولُونَ : الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَالْعَمَلُ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ . فَالْمُصَنِّفُ الْآنَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ وَيُرَتِّبُ هَذَا التَّرْتِيبَ لِيُبَيِّنَ انْحِرَافَ الْمُرْجِئَةِ عَلَى مُخْتَلِفِ أَشْكَالِهَا ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْإِيمَانُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ فَقَطْ ،وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : الْإِيمَانُ اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَالْعَمَلُ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ ؛لَا صَلَاةٌ وَلَا زَكَاةٌ وَلَا صَوْمٌ ... لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ ،هَذِهِ الْأَعْمَالُ وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ وَهَذِهِ الشَّرَائِعُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ...) مِنْهَا الشَّهَادَتَانِ وَالْأَرْبَعُ كُلُّهَا أَرْكَانٌ ،هَذِهِ الْأَرْكَانُ تَسْقُطُ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ لَا تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ ،لَكِنْ هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءُ وَإِنْ وَافَقُوا الْمُرْجِئَةَ فِي إِخْرَاجِ الْعَمَلِ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وُجُوبَ الْعَمَلِ وَيَرَوْنَ الذَّمَّ لِمَنْ يُقَصِّرُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ ؛يَلْحَقُهُ الذَّمُّ وَيَلْحَقُهُ

الْوَعِيدُ ،فَخَالَفُوا أَهْلَ السُّنَّةِ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ وَهَذِهِ مُخَالَفَةٌ شَنِيعَةٌ لَكِنَّهُمْ فِي النِّهَايَةِ الْتَقَوْا مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي وُجُوبِ الْعَمَلِ وَأَنَّ مَنْ يُقَصِّرُ فِيهِ يَلْحَقُهُ الذَّمُّ وَالْوَعِيدُ ؛فَيَتَعَرَّضُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ تَشْمَلْهُ رَحْمَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

(وَعَمَلًا بِجَوَارِحِهِمْ)

يَعْنِي فِي هَذَا الظَّرْفِ لَمَّا تَوَفَّرَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَتَمَّتْ هَذِهِ الشَّرَائِعُ وَكَانَ بَعْدَ شَرْعِيَّةِ الْحَجِّ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ عَلَى الصَّحِيحِ وَحَجَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ ،فَلَمَّا تَكَامَلَتْ هَذِهِ الْأَرْكَانُ وَهَذِهِ الشَّرَائِعُ أَنْزَلَ اللهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَاتٍ قَوْلَهُ تَعَالَى :﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

لَمَّا تَكَامَلَتْ هَذِهِ الشَّرَائِعُ أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ مُبَيِّنًا نِعْمَتَهُ الَّتِي أَكْمَلَهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُوَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمُ الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ وَرَضِيَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .

فَمَنْ لَا يَرَى هَذِهِ الْأَعْمَالَ الَّتِي شُرِعَتْ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ فَهَذَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ كَافِرٌ .

بَعْضُ السَّلَفِ كَفَّرَ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ ؛يَعْنِي إِذَا قَامَ بِالشَّهَادَتَيْنِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ وَقَصَّرَ فِي الصَّلَاةِ فَتَارِكُهَا عِنْدَهُمْ كَافِرٌ ،يَعْنِي هُمْ لَا يُكَفِّرُونَ بِتَرْكِ الزَّكَاةِ وَلَا بِتَرْكِ الصَّوْمِ وَلَا بِتَرْكِ الْحَجِّ وَهِيَ جَرَائِمُ وَكَبَائِرُ عَظِيمَةٌ ...الخ وَقَدْ يُؤَدِّي بِهِ تَرْكُهَا إِلَى النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ لَكِنْ لَا يُكَفِّرُونَهُ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ لَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ .

فَبَعْضُهُمْ وَافَقَ الصَّحَابَةَ أَوْ جُلَّهُمْ فِي تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُكَفِّرُوا تَارِكَ الزَّكَاةِ أَوِ الصَّوْمِ أَوِ الْحَجِّ أَوْ جَمِيعِهَا ،لَكِنْ يَقُولُونَ :هُوَ مُجْرِمٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ وَإِيمَانُهُ يَنْقُصُ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ بَلْ إِلَى حَدِّ الزَّوَالِ .

هَذَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ خِلَافًا لِلْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ لَا يُدْخِلُونَ الْعَمَلَ فِي الْإِيمَانِ ،ثُمَّ يَتَفَاوَتُونَ ،مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ :الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَهُمُ الْكَرَّامِيَّةُ ،وَالْمُنَافِقُ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنٌ لِأَنَّهُ قَالَ بِلِسَانِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،وَعَلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ غُلَاةُ الْمُرْجِئَةِ قَالُوا : الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ فَقَطْ ،وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الْمَعْرِفَةُ فَقَطْ .

وَيَلْزَمُ عَلَى قَوْلِهِمْ أَنْ يَكُونَ أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَقَارُونُ وَعَلَى رَأْسِهِمْ إِبْلِيسُ مُؤْمِنُونَ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا اللهَ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

الْكُفَّارُ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ .{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}. {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}. فَالْكُفَّارُ عِنْدَهُمْ عَلَى هَذَا التَّعْرِيفِ الْخَسِيسِ مُؤْمِنُونَ وَهَذِهِ مُصَادَمَةٌ لِنُصُوصِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا عَلَيْهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ لِهَذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ بَعْدَ أَنْ سَاقَ النُّصُوصَ : .{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}. وَالْإِسْلَامُ فِي الْآيَتَيْنِ يَشْمَلُ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالَ الْجَوَارِحِ .

الْإِسْلَامُ إِذَا انْفَرَدَ دَخَلَتْ فِيهِ أَعْمَالُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ،وَالْإِيمَانُ إِذَا انْفَرَدَ دَخَلَتْ فِيهِ أَعْمَالُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ يَعْنِي أَعْمَالَ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالَ الْجَوَارِحِ ؛فَإِذَا اجْتَمَعَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ كَمَا فِي حَدِيثِ عُمَرَ فِي مَجِيءِ جِبْرِيلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُؤَالِ جِبْرِيلَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

فَقَالَ : (يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَعَجِبْنَا أَنَّهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) .

فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ الَّذِي يُفَرَّقُ فِيهِ بَيْنَ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ وَ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ يَكُونُ لِلْإِسْلَامِ مَعْنًى وَ هُوَ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ ؛ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ ، وَلِلْإِيمَانِ مَعْنًى آخَرُ وَهُوَ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ وَأَقْوَالُهَا كَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَ .. وَ ... الخ .

فَالْقَاعِدَةُ فِي الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ أَنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا يَعْنِي لِكُلٍّ مِنْهُمَا مَعْنًى وَ أَعْمَالًا يَتَنَاوَلُهَا ، وَإِذَا افْتَرَقَا يَعْنِي انْفَرَدَ ذِكْرُ الْإِيمَانِ شَمِلَ أَعْمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ،وَإِذَا انْفَرَدَ ذِكْرُ الْإِسْلَامِ كَمَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ شَمِلَ كُلَّ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} دَخَلَتْ فِيهِ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ} دَخَلَتْ فِيهِ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ للهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) .

يَعْنِي لَمَّا تَكَامَلَتْ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَجَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُعَلِّمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ دِينَهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنِ انْتَهَى جِبْرِيلُ مِنْ طَرْحِ أَسْئِلَتِهِ وَأَجَابَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَذَهَبَ جِبْرِيلُ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ ؟ قَالُوا :لَا ،قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ .

فِعْلًا بَيَّنَ لَهُمْ أُصُولَ الْإِسْلَامِ وَ الْإِحْسَانِ ،فَبَيَّنَ لَهُمُ الدِّينَ وَهَذِهِ هِيَ مَرَاتِبُ الدِّينِ ؛الْإِسْلَامُ ثُمَّ الْإِيمَانُ ثُمَّ الْإِحْسَانُ . الْإِحْسَانُ هُوَ اسْتِكْمَالُ النَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ ، الْإِحْسَانُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَرَائِضِ كُلِّهَا وَيَتَجَنَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ كُلَّهَا وَيَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ

التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِالنَّوَافِلِ فَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ وَ يَلِيهِمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَهُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِالْوَاجِبَاتِ وَيَتْرُكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ وَلَا يَسْتَقْصُونَ النَّوَافِلَ وَلَا يَتَجَنَّبُونَ مَثَلًا الْمَكْرُوهَاتِ وَلَا يَسْتَوْفُونَ الْمُسْتَحَبَّاتِ ؛هَؤُلَاءِ يُسَمَّوْنَ أَصْحَابَ الْيَمِينِ وَيُسَمَّوْنَ أَبْرَارًا كَمَا فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَسُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ وَسُورَةِ الْإِنْسَانِ ؛يَعْنِي مَيَّزَ اللهُ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي سُورَةِ فَاطِرٍ قَسَمَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فَالَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ هُمُ الَّذِينَ قَصَّرُوا فِي الْوَاجِبَاتِ وَوَقَعُوا فِي الْمُحَرَّمَاتِ فَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ فَإِنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ ،فَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ فِي بَيَانِ بُطْلَانِ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ ،فَاللهُ سَمَّى الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ فِي الْجُمْلَةِ.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وَهُمُ الْأَبْرَارُ الَّذِينَ أَدَّوُا الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنَبُوا الْمُحَرَّمَاتِ ثُمَّ خَفَّفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَمْ يُتْعِبُوهَا مِثْلَ السَّابِقِينَ فَيُقَصِّرُونَ فِي النَّوَافِلِ وَيَقَعُونَ فِي بَعْضِ الْمَكْرُوهَاتِ ،لَكِنَّ

الْمُحَرَّمَاتِ لَا يَقَعُونَ فِيهَا لِهَذَا سَمَّاهُمُ اللهُ أَصْحَابَ الْيَمِينِ وَسَمَّاهُمْ أَبْرَارًا .

أَمَّا السَّابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ فَهُمُ الَّذِينَ أَدَّوُا الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَاسْتَكْمَلُوا الطَّاعَاتِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ مِنْ نَوَافِلِ الصَّلَوَاتِ وَنَوَافِلِ الصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ اسْتَوْفَوْهَا فَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ ، ثُمَّ يَتَفَاوَتُونَ فِي الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَرَى مَنْ فَوْقَهُ كَمَا يُرَى النَّجْمُ الدُّرِّيُّ الْغَابِرُ فِي الْأُفُقِ الْبَعِيدِ لِتَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ ،قَالَ الصَّحَابَةُ:تِلْكَ مَنَازِلُ لَا يَلْحَقُهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَلَى رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ) نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ:(ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ)

يَعْنِي الْإِسْلَامُ جَاءَ بِالتَّدْرِيجِ خُطْوَةً خُطْوَةً ،تَرْبِيَةً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَحْمَةً بِهَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى تَكَامَلَ الدِّينُ ،- وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَهَذَا رَحِمَكُمُ اللهُ طَرِيقُ

الْمُسْلِمِينَ — يَعْنِي طَرِيقَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَوَّلِ الْوَصْفِ هَذَا إِلَى آخِرِهِ ،يُؤْمِنُونَ بِالْإِسْلَامِ كُلِّهِ بَدَؤُوا بِالتَّدْرِيجِ هَكَذَا حَتَّى تَكَامَلَ الدِّينُ ،فَطَبَّقُوا الدِّينَ كَامِلًا ،لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْقُصُوا مِنْهُ شَيْءً فَلَا نُحَرِّمُ حَلَالًا وَ لَا نُحَلِّلُ حَرَامًا وَلَا نُخَالِفُ فِي شَرِيعَةٍ مِنَ الشَّرَائِعِ بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَبِرَهَا كُلَّهَا مِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ فَنَحْتَرِمُهَا وَنُطَبِّقُهَا وَنَذُبُّ عَنْهَا وَنُبَيِّنُ صَحِيحَهَا مِنْ سَقِيمِهَا وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ حِفَاظًا عَلَى هَذَا الدِّينِ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِالْكَمَالِ وَقَالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

مَاذَا يَقُولُ دُعَاةُ وَحْدَةِ الْأَدْيَانِ ؟ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّونَ، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وَهُمْ يَقُولُونَ الْإِسْلَامُ وَالْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ سَوَاءٌ وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ .

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِهِ :﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بَرَّأَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْوَثَنِيَّاتِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا ،الْمَجُوسِيَّةِ

وَالْهِنْدُوكِيَّةِ وَشِرْكِ الْعَرَبِ وَكُلُّهَا بَرَّأَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْهَا ،فَيَأْتِي هَؤُلَاءِ الْأَنْجَاسُ الْأَقْذَارُ الْمَلَاحِدَةُ الزَّنَادِقَةُ فَيَقُولُونَ بِوَحْدَةِ الْأَدْيَانِ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الَّذِي يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ كَافِرٌ زِنْدِيقٌ .

الْإِسْلَامُ الْقَائِمُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى تَصْدِيقِ النُّبُوَّاتِ كُلِّهَا وَالرِّسَالَاتِ كُلِّهَا وَقَضَايَا لِإِيمَانِ كُلِّهَا مِثْلُ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ الْمُحَرَّفَةِ الْمُبَدَّلَةِ ؟! الْمَلِيئَةِ بِالشِّرْكِ وَالضَّلَالِ حَرَّفُوهَا مِنْ دِيَانَاتِ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى كُفْرٍ وَإِلْحَادٍ وَزَنْدَقَةٍ ، ثُمَّ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدُونَ : هِيَ وَالْإِسْلَامُ سَوَاءٌ !! أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنَا وَإِيَّاكُمْ وَأَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمُ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَأَنْ يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى هَذَا الْإِسْلَامِ الْحَقِّ وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَيْهِ إِنَّ رَبَّنَا لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ .

تَكْمِلَةُ بَابِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ – الشَّرِيطُ الثَّانِي – (مُحَرَّمٌ ١٤٢٢هـ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ أَمَّا بَعْدُ :

فَالْمُؤَلِّفُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ لَا قَوْلٌ فَقَطْ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُرْجِئَةِ وَلَا اعْتِقَادٌ فَقَطْ كَمَا يَقُولُهُ غَيْرُهُمْ وَلَا قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ فَقَطْ مَعَ نَفْيِ عَمَلِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْإِيمَانِ ،يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ؛أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ وَالْقُرْآنُ مَلِيءٌ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ وَالسُّنَّةُ كَذَلِكَ وَمَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَلَى هَذَا ،خِلَافًا لِأَهْلِ الْبِدَعِ .

وَبَعْضُ الْفِرَقِ يَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ وَلَكِنَّهُ يُكَفِّرُ بِارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ ،هَؤُلَاءِ هُمُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ سَارَ سَيْرَهُمْ ،وَهَذَا غُلُوٌّ ،وَيُقَابِلُهُمُ الْمُرْجِئَةُ بِهَذِهِ السَّلْبِيَّةِ وَهُوَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ أَوِ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ مَعَ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ أَوِ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الْمُرْجِئَةِ وَقَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ الْحَقُّ وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الْأَدِلَّةُ وَالْآثَارُ السَّلَفِيَّةُ.

سَاقَ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ ،أَثَرَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ :(فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) يَعْنِي أَنَّ هَذَا مِنْ غُلَاةِ الْمُرْجِئَةِ يَكْفِي عِنْدَهُ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ،مَا فِيهِ

عَمَلٌ وَلَا اعْتِقَادٌ – نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ – وَقَدْ حَكَيْنَا لَكُمْ مَذَاهِبَهُمُ الْأُخْرَى ،وَالْمُصَنِّفُ يَرُدُّ الْآنَ عَلَى هَذِهِ الْمَقُولَةِ الْفَاسِدَةِ بِمَا حَكَاهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ .

(فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ قِيلَ لَهُ :هَذِهِ كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ ،عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ وَهَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ نَعَتَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِلْمِ ،وَكَانُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ سِوَى الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ،وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ،وَقَوْلِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي كُلِّ بَلَدٍ).

الْكَلَامُ فِيهِ تَفْصِيلٌ ؛إِنْ كَانَ يُرِيدُ بِهَذَا الْكَلَامِ الرَّدَّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ بِأَنَّهُ يَكْفِي الْمَرْءَ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيَدْخُلَ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ فَهَذَا يَرُدُّهُ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ،أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ قَبْلَ الْفَرَائِضِ فَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

ثُمَّ أَمَرَ الشَّيْخُ بِقِرَاءَةِ كَلَامِ الْمُعَلِّقِ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ :

قَالَ الْمُعَلِّقُ :(وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يُؤَيِّدُ بِدْعَةَ الْإِرْجَاءِ)

قَالَ الشَّيْخُ : مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ :يُؤَيِّدُ بِدْعَةَ الْإِرْجَاءِ وَإِنَّمَا يَقُولُ :تَعَلَّقَ الْمُرْجِئَةُ خَطَئًا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَإِلَّا هُوَ لَايُؤَيِّدُ مَذْهَبَهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لِأَنَّ كَلَامَ الرَّسُولِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا فَلَا يُؤَيِّدُ بَاطِلًا أَبَدًا ،لَكِنْ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى :﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ مُعَلِّقًا :فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ فِيهِ (يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ) فَهَذَا دَلَّ عَلَى شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَهُوَ الْإِخْلَاصُ . أَمَّا حَدِيثُ مُعَاذٍ (مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ) فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ أَيُّ قَيْدٍ فَهُوَ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ .

قَالَ الشَّيْخُ مُعَلِّقًا عَلَى حَدِيثِ عُبَادَةَ : يَعْنِي هَذَا فِيهِ اشْتِرَاطُ الْيَقِينِ لِأَنَّ الشَّكَّ ضِدُّهُ الْيَقِينُ وَهُنَاكَ أَدِلَّةٌ أُخْرَى فِيهَا اشْتِرَاطُ الْيَقِينِ ؛وَالْحَدِيثُ هَذَا لَيْسَ هُوَ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ كَمَا فِي مُسْلِمٍ ،رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ فَقَالَ فِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ . وَ هَذَا الْحَدِيثُ كَانَ فِي قِصَّةِ تَبُوكَ لَمَّا نَفِدَتْ أَزْوَادُهُمْ

وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرُوا ظُهُورَهُمْ لَمَّا أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ ،فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ،ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبُسِطَ ،ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكِسْرَةٍ ،حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ ،فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَةِ ،ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَؤُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ). هَذَا هُوَ الْحَدِيثُ ؛ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ شَكَّ فِيهِ الرَّاوِي وَلَا يَضُرُّ الشَّكُّ فِي الصَّحَابِيِّ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عُدُولٌ وَوَرَدَ مِنْ طُرُقٍ أُخْرَى مُصَرَّحًا بِهِ أَظُنُّهُ أَبُو سَعِيدٍ .

قَالَ الشَّيْخُ : مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثُمَّ مَاتَ ،هَذَا شَرْطٌ مِنَ الشُّرُوطِ ؛لَوْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى غَيْرِهَا هَذَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، يَمُوتُ كَافِرًا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ ؛فَمِنْ شُرُوطِهَا أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا

قَالَ الشَّيْخُ : بَعْضُ الْعُلَمَاءِ نَظَمَ أَبْيَاتًا فِي ذِكْرِ هَذِهِ الشُّرُوطِ :

عِلْمٌ وَيَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ *** مَعْ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا

وَثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا *** غَيْرَ الْإِلَهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلِّهَا

يَعْنِي تَصِيرُ الشُّرُوطُ ثَمَانِيَةً مِنْهَا :

- **الْكُفْرُ بِالطَّوَاغِيتِ :** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الشُّرُوطُ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ مَأْخُوذَةً مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

- **الْعِلْمُ :** دَلِيلُهُ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

- **وَالْيَقِينُ :** مِنْ أَدِلَّتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وَمِنْهَا الْحَدِيثُ هَذَا ؛حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ وَفِيهِ (لَقِيَ اللهَ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ ..)

وَأَيْضًا حَدِيثُ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُوقِنًا بِهَا) فَهَذِهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى اشْتِرَاطِ الْيَقِينِ .

- **وَالْقَبُولُ** :الْقَبُولُ لَهُ أَدِلَّتُهُ الْحِسِّيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ وَالشَّرْعِيَّةُ .

ثُمَّ طَلَبَ الشَّيْخُ مِنَ الْقَارِئِ أَنْ يَقْرَأَ أَدِلَّةَ الْقَبُولِ مِنْ كِتَابِ مَعَارِجِ الْقَبُولِ ،بِدَايَةً مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ حَافِظٍ الْحَكَمِيِّ :

(الْقَبُولُ لِمَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ)

قَالَ الشَّيْخُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ : لَيْسَ نُطْقُهَا وَلَفْظُهَا فَقَطْ بَلْ لَهَا مُقْتَضَيَاتٌ فَلَابُدَّ مِنْ قَبُولِ مُقْتَضَيَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،وَمُقْتَضَيَاتُهَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْجِهَادُ وَالْحَاكِمِيَّةُ ...الخ فَلَابُدَّ أَنْ يَقْبَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَيَلْتَزِمَ بِهَذِهِ الْأَحْكَامِ ،إِذَا لَمْ يَلْتَزِمْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ فَهُوَ كَافِرٌ ،إِذَا رَفَضَ قَبُولَ الصَّلَاةِ وَمَا الْتَزَمَهَا أَوْ رَفَضَ قَبُولَ حَاكِمِيَّةِ اللهِ وَكَذَا الزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ وَتَحْلِيلَ الْحَلَالِ وَتَحْرِيمَ الْحَرَامِ ؛هَذِهِ مُسْتَلْزَمَاتُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمُقْتَضَيَاتُهَا ،فَلَابُدَّ مِنِ الْتِزَامِ هَذِهِ الْمُقْتَضَيَاتِ لِتَصِحَّ مِنْهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (وَقَدْ قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ مِنْ إِنْجَاءِ مَنْ قَبِلَهَا وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ رَدَّهَا وَأَبَاهَا) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ الَّذِينَ قَبِلُوهَا هُمْ مِمَّنْ هَدَى اللهُ وَالَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوهَا هُمْ مِمَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ، لَمْ يَقْبَلُوهَا فَهُمْ كُفَّارٌ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ :(كَمَا قَالَ تَعَالَى :﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : أُرْسِلُوا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمُقْتَضَيَاتِهَا .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ :(قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : وَيُهْلِكُ مَنْ كَفَرَ بِالتَّوْحِيدِ وَبِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ: وَقَالَ تَعَالَى :﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ ؛لْأَدِلَّةِ وَالْمُعْجِزَاتِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى أَنَّهُمْ مُرْسَلُونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَوْحِيدِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُطَالَبَةِ هَذِهِ الْأُمَمِ بِقَبُولِ هَذَا التَّوْحِيدِ فَرَدَّهُ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَدَّهُمْ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنَا بِمَا وَعَدَ بِهِ الْقَابِلِينَ لَهَا مِنَ الثَّوَابِ ،وَمَا أَعَدَّهُ لِمَنْ رَدَّهَا مِنَ الْعَذَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَعْنِي رَدُّوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعَلَى مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى عِلَّةَ تَعْذِيبِهِمْ وَسَبَبَهُ هُوَ اسْتِكْبَارَهُمْ عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَتَكْذِيبَهُمْ مَنْ جَاءَ بِهَا ،فَلَمْ

يَنْفُوا مَا نَفَتْهُ وَلَمْ يُثْبِتُوا مَا أَثْبَتَتْهُ ،بَلْ قَالُوا إِنْكَارًا وَاسْتِكْبَارًا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} ،وَقَالُوا هَهُنَا : {أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} فَكَذَّبَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَا إِخْوَةُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ الْحَقَّ يَأْتِي بِعُيُوبٍ لِصَاحِبِ الْحَقِّ ؛هَذَا مَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ ،الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْوَثَنِيُّونَ وَأَهْلُ الْبِدَعِ ،أَهْلُ الْبِدَعِ قَدْ يُبَارُونَ الْكُفَّارَ فِي الْكَذِبِ وَتَشْوِيهِ أَصْحَابِ الْحَقِّ كَمَا شَوَّهُوا ابْنَ تَيْمِيَّةَ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ ،وَكَمَا شَوَّهُوا الْإِمَامَ مُحَمَّدَ ابْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ وَكَمْ ظَلَمُوهُ وَافْتَرَوْا عَلَيْهِ ،فَهُمْ يَضْحَكُونَ عَلَى السُّذَّجِ وَالْبُلَهَاءِ بِتَشْوِيهِ مَا جَاءَ مِنَ الْحَقِّ وَتَشْوِيهِ مَنْ جَاءَ بِهِ ،هُوَ مَجْنُونٌ وَكَلَامُهُ كَلَامُ الشُّعَرَاءِ قَاتَلَهُمُ اللهُ ،وَقَالُوا :كَاهِنٌ وَقَالُوا :كَذَّابٌ ،فَمَا عِنْدَهُمْ حُجَجٌ ،مَا عِنْدَهُمْ إِلَّا الضَّلَالُ وَيَفْتَعِلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْخَبِيثَةِ فِي أَهْلِ الْحَقِّ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : الْحَسَنَةُ هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛التَّوْحِيدُ وَمَا يَتْبَعُهُ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ :وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ،وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً،فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ)

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : وَفِي طَلِيعَةِ مَا عَلِمَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَتْبَعُهَا لَكِنْ عَلَى رَأْسِ عِلْمِهِ عِلْمُهُ بِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : مُتَمِّمًا لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ : (وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : الْحَدِيثُ عَظِيمٌ جِدًّا وَمِثَالٌ عَظِيمٌ لَكِنِ الشَّاهِدُ مِنْهُ (وَمَثَلُ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ) وَيُقَابِلُهُ (وَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ وَلَمْ يَقْبَلْ ...بِهِ) وَعَلَى رَأْسِ هُدَى اللهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ هُوَ التَّوْحِيدُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَهَذَا مِنْ أَدِلَّةِ اشْتِرَاطِ الْقَبُولِ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ :(الرَّابِعُ : الِانْقِيَادُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمُنَافِى لِلتَّرْكِ ذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : هَذَا الِانْقِيَادُ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أَيِ انْقَادُوا لَهُ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أَيْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ أَيِ انْقَادَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ،انْقَادَ لِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ،هَذَا هُوَ الِانْقِيَادُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (وَمَعْنَى يُسْلِمْ وَجْهَهُ أَيْ يَنْقَادُ ،وَهُوَ مُحْسِنٌ مُوَحِّدٌ .وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَلَمْ يَكُ مُحْسِنًا فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَمْسِكْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ،وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ :

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَعْنِي هَؤُلَاءِ لَمْ يُسْلِمُوا وُجُوهَهُمْ لِلَّهِ وَلَمْ يَنْقَادُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُمْ كُفَّارٌ

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ :(وَفِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ) وَهَذَا هُوَ تَمَامُ الِانْقِيَادِ وَغَايَتُهُ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ :الْحَدِيثُ فِيهِ ضَعْفٌ وَلَكِنْ تَكْفِي هَذِهِ النُّصُوصُ الَّتِي جَاءَتْ وَيُسْتَأْنَسُ بِهِ .

بَعْضُهُمْ يُصَحِّحُ هَذَا الْحَدِيثَ وَبَعْضُهُمْ يُضَعِّفُهُ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ،وَعَلَى

كُلِّ حَالٍ هُوَ صَالِحٌ لِلْإِسْتِأْنَاسِ يُضَافُ إِلَى الْأَدِلَّةِ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الشُّرُوطُ الَّتِي فِيهَا الِانْقِيَادُ .

فَقَوْلُهُ :(تَبَعًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ)مَعْنَاهُ انْقَادَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،يُقَدِّمُ رِضَا اللهِ عَلَى رِضَا أَهْلِ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِمَا فِيهَا مِنْ بَشَرٍ وَمَخْلُوقَاتٍ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (الْخَامِسُ) :الصِّدْقُ فِيهَا الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ ،وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ يُوَاطِئُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ،قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾.

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ :الشَّاهِدُ مِنَ الْآيَةِ قَوْلُهُ صَدَقُوا وَالْكَاذِبُونَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ ،يَقُولُهَا وَهُوَ كَاذِبٌ ،قَالَ تَعَالَى :﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾. لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَا وَلَمْ يَصْدُقُوا فِي قَوْلِهَا .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : تَعْلِيقًا عَلَى حَدِيثِ ضِمَامٍ : إِنْ صَدَقَ ؛الْتَزَمَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَمُقْتَضَيَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،فَإِنْ صَدَقَ فِي ذَلِكَ

فَقَدْ أَفْلَحَ فَقَيَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَلَاحَ بِالصِّدْقِ ،فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصِّدْقَ مِنْ شُرُوطِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ: (السَّادِسُ) (الْإِخْلَاصُ) وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ ،قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ الْآيَةَ .وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ وَقَالَ تَعَالَى :﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ) .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) .

وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ تُفْضِى إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ) قَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وَلِلنَّسَائِيِّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ حَدِيثِ رَجُلَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبُهُ يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَ اللهُ لَهَا السَّمَاءَ فَتْقًا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ،وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : اللهُ أَكْبَرُ ،جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا ،جَمَعَ مِنْ شُرُوطِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُ ،سَبَقَهُ غَيْرُهُ لَكِنْ هُوَ جَمَعَ فِيهَا نُصُوصًا فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَرَحِمَهُ وَتَغَمَّدَهُ بِرِضْوَانِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ: (السَّابِعُ) (الْمَحَبَّةُ) لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَلِأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ بِهَا الْمُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا ...) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ :انْظُرْ كَيْفَ أَدْخَلَ مَوْضُوعَ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ فِي انْقِطَاعِ هَذِهِ الْأُمُورِ يَجْهَلُهَا أَهْلُ الْفِتَنِ وَأَهْلُ الْبِدَعِ وَلَا يَحْتَفُونَ بِهَا -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ - وَقَالَ الشَّيْخُ تَعْلِيقًا عَلَى كَلِمَةِ (لِمَا اقْتَضَتْهُ) اقْتَضَتِ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ...الخ حُبُّ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا يُبْغِضُ شَيْئًا مِنْهَا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ حَبِطَ عَمَلُهُ وَيَكُونُ هَذَا كُفْرٌ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ:(...وَبُغْضُ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : أَهْلُ الْبِدَعِ لَا يَلْتَزِمُونَ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ (يُؤْمِنُونَ بِهَا) الَّذِينَ الْتَزَمُوا بِشُرُوطِهَا .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فَأَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّ جَلَّ أَنَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ

،وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا مَعَهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَحَدًا كَمَا فَعَلَ مُدَّعُو مَحَبَّتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ ،وَعَلَامَةُ حُبِّ الْعَبْدِ رَبَّهُ تَقْدِيمُ مَحَابِّهِ وَإِنْ خَالَفَتْ هَوَاهُ ،وَبُغْضُ مَا يُبْغِضُ رَبُّهُ وَإِنْ مَالَ إِلَيْهِ هَوَاهُ ،وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَى اللهَ وَرَسُولَهُ وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ :هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،تُحِبُّ اللهَ وَتُحِبُّ مَا أَوْحَاهُ إِلَى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ ،تُحِبُّ مَنْ آمَنَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَالْتَزَمَ بِهَا وَالْتَزَمَ شُرُوطَهَا ،تُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهَا ..الخ هَذِهِ كُلُّهَا شُرُوطُ الْوَلَاءِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَوَفَّرَتْ فِيهِمْ شُرُوطُ الْمَحَبَّةِ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقْتِفَاءُ أَثَرِهِ وَقَبُولُ هُدَاهُ . وَكُلُّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ شُرُوطٌ فِي الْمَحَبَّةِ لَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ الْمَحَبَّةِ مَعَ عَدَمِ شَرْطٍ مِنْهَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الْآيَاتِ ،وَقَالَ تَعَالَى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : هَذِهِ يَرَاهَا كُلَّهَا شُرُوطًا فِي الْمَحَبَّةِ ؛أَنْ تُخَالِفَ هَوَاكَ وَتُقَدِّمَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ عَلَى مَا تُحِبُّهُ أَنْتَ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (فَكُلُّ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَبْدٌ لِهَوَاهُ ،بَلْ كُلُّ مَا عُصِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ فَسَبَبُهُ تَقْدِيمُ الْعَبْدِ هَوَاهُ عَلَى أَوَامِرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَوَاهِيهِ)

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : الْمَعَاصِي تُنْقِصُ الْإِيمَانَ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ :(وَقَالَ فِي شَأْنِ الْمُوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ فِيهِ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ الْآيَاتِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ الْآيَةَ . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ الْآيَاتِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : الْمُوَالَاةُ تَكُونُ بِالْمَوَدَّةِ وَمَا شَاكَلَهَا ،هَذَا مِنْ شُرُوطِ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛لَابُدَّ أَنْ تُحِبَّ فِيهِ ؛تُحِبَّهُ وَتُحِبَّ رُسُلَهُ وَكُتُبَهُ وَمَا جَاؤُوا بِهِ ...الخ وَتُحِبَّ مَنْ تَلَقَّى هَذِهِ الرِّسَالَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْتَزَمَهَا وَتُبْغِضَ مَنْ يُخَالِفُهَا ،وَالْمُخَالَفَةُ هَذِهِ قَدْ تَكُونُ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ وَقَدْ تَكُونُ لِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ: (وَقَالَ تَعَالَى :(- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾) الْآيَتَيْنِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : هَذَا اسْتِطْرَادٌ عَلَى الشَّرْطِ السَّابِعِ وَهُوَ الْمَحَبَّةُ ،دَخَلَ فِي بَابِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ وَهِيَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لِأَنَّكَ تُحِبُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَتُحِبُّ مُقْتَضَيَاتِهَا وَتَكْرَهُ مَا يُنَافِي هَذِهِ الْمُقْتَضَيَاتِ .

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظٌ : (وَقَالَ تَعَالَى فِي اشْتِرَاطِ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا

اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾. نَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ.

ثُمَّ أَمَرَ الشَّيْخُ الْقَارِئَ بِأَنْ يُكْمِلَ قِرَاءَةَ التَّعْلِيقِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بَعْدَ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَقَالَ : هَذِهِ طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ التَّأْلِيفُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ لَا رَدُّهَا ،الْخَوَارِجُ يَأْخُذُونَ مَا يُوَافِقُ هَوَاهُمْ وَيَضْرِبُونَ صَفْحًا عَمَّا خَالَفَ هَوَاهُمْ ،وَالْمُرْجِئَةُ كَذَلِكَ ،بِخِلَافِ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَجْمَعُونَ وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ ،بَيْنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ ،لِأَنَّ هَذِهِ مَصْدَرُهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. فَكَلَامُ اللهِ وَكَلَامُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَنَاقَضُ ،لِأَنَّهُ حَقٌّ وَمِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ

فَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ هِيَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ النُّصُوصِ ،كَيْفَ وَفَّقُوا بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ وَأَلَّفُوا بَيْنَهَا ؟!

ثُمَّ بَدَأَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ مَا أَمَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ إِكْمَالِ قِرَاءَةِ التَّعْلِيقِ :

قَالَ الْمُعَلِّقُ :

(وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى كُلِّ شَرْطٍ بِأَدِلَّةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،فَلَا تَنْفَعُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَّا بِهَذِهِ الشُّرُوطِ الْحَامِلَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِالْأَوَامِرِ وَالِانْتِهَاءِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ .

وَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِعِدَّةِ أَجْوِبَةٍ :

١- مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ ،وَهُوَ كَوْنُهَا قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ ،وَاسْتَدَلَّ بِخَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسُفْيَانَ الْآتِيَيْنِ ،وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزُّهْرِيُّ كَمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٣/٥) وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : الزُّهْرِيُّ يُفَسِّرُ هَذَا الْحَدِيثَ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوْ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ) ،قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ :إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَانَتْ تَنْفَعُ أَصْحَابَهَا قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ ،أَمَّا بَعْدَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ فَهَذَا لَا يَكْفِي فَلَابُدَّ مِنِ الْتِزَامِ الْفَرَائِضِ وَالْقِيَامِ بِهَا .

قَالَ الْمُعَلِّقُ :(٢ –وَمِنْهَا : إِنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَإِنْ عُذِّبُوا بِهَا بِذُنُوبِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَعْنِي مَا الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ كَمَا فِي الْحَدِيثَيْنِ ، هَلْ هُوَ تَحْرِيمٌ مُطْلَقٌ أَوْ تَحْرِيمٌ مُقَيَّدٌ ؟ قَالُوا : إِنَّ الْمُرَادَ أَنْ لَا يُخَلَّدَ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَإِنْ عُذِّبُوا ،يَعْنِي حَتَّى وَلَوْ عُذِّبُوا فَإِنَّهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ ؛فَهَذَا مَعْنَى التَّحْرِيمِ ؛يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَخْلُدُونَ ،تَحْرِيمُ تَخْلِيدِهِمْ فِي النَّارِ ،لِأَنَّ التَّوْحِيدَ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ وَلَوْ وَقَعَ فِيمَا وَقَعَ مِنَ الذُّنُوبِ اسْتَوْجَبَ بِهَا دُخُولَ النَّارِ وَدَخَلَ النَّارَ فِعْلًا فَإِنَّهُ بِهَذَا التَّوْحِيدِ وَفَضْلِهِ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَادَامَ مُؤْمِنًا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمُخْلِصًا فِيهَا وَمُسْتَيْقِنًا بِهَا وَمَاتَ عَلَيْهَا .

قَالَ الْمُعَلِّقُ : (٣–وَمِنْهَا : أَنَّهُ مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا لَا يَتْرُكُ الْفَرَائِضَ لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ يَحْمِلُ عَلَى أَدَاءِ اللَّازِمِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا ،هَذَا الْمُخْلِصُ لَا يَتْرُكُ الْفَرَائِضَ ،هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ) يَعْنِي قَالَهَا مُخْلِصًا، هَذَا الْإِخْلَاصُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْقِيَامِ

بِالْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ،وَهَذَا كُلُّهُ فِيهِ مُرَاعَاةٌ لِشُرُوطِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

قَالَ الْمُعَلِّقُ : : (٤- وَمِنْهَا : تَحْرِيمُ دُخُولِ النَّارِ الْمُعَدَّةِ لِلْكَافِرِينَ ،لَا الطَّبَقَةِ الْمُعَدَّةِ لِلْعُصَاةِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : هَذَا الْكَلَامُ سَاقَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَنَقَلَهُ ....،يَعْنِي مِنَ الْأَقْوَالِ :تَحْرِيمُ دُخُولِ النَّارِ الْمُعَدَّةِ لِلْكَافِرِينَ (حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ) يَعْنِي النَّارَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ .فَهُنَاكَ نَارٌ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ وَنَارٌ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْعُصَاةِ ،فَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ وَإِنَّمَا يَدْخُلُونَ النَّارَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْعُصَاةِ .

قَالَ الْمُعَلِّقُ :(٥ – وَمِنْهَا : تَحْرِيمُ دُخُولِ النَّارِ بِشَرْطِ حُصُولِ قَبُولِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ السَّيِّئِ) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَعْنِي تَحْرِيمَ دُخُولِ النَّارِ بِشَرْطِ قَبُولِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ،مَنْ قَبِلَ اللهُ عَمَلَهُ الصَّالِحَ وَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ .

قَالَ الْمُعَلِّقُ: (انْظُرْ فَتْحَ الْبَارِي (٥٢٢/١) وَانْظُرْ تَيْسِيرَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (ص٨٧فَمَا بَعْدَهَا) حَيْثُ قَالَ : (وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ مَا قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَغَيْرُهُ: إِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ إِنَّمَا هِيَ فِي مَنْ قَالَهَا وَمَاتَ عَلَيْهَا كَمَا جَاءَتْ مُقَيَّدَةً وَقَالَهَا خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهَا بِصِدْقٍ وَيَقِينٍ ..فَإِنَّ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ انْجِذَابُ الرُّوحِ إِلَى اللهِ جُمْلَةً) .

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَعْنِي هَذِهِ الشُّرُوطُ مُشْتَرَطَةٌ فِي صِحَّةِ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَبُولِهَا مِنْ قَائِلِهَا وَهِيَ لَابُدَّ مِنْ ضَمِيمَةٍ إِلَيْهَا وَهُوَ أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا ،يَعْنِي قَدْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِصِدْقٍ ...وَكَذَا لَكِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ (وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى ...فَيَدْخُلُهَا) فَهَذَا قَدْ يُخْتَمُ لَهُ بِسُوءٍ وَغِنْ كَانَ مُؤْمِنًا صَالِحًا لَكِنْ لِحِكْمَةٍ مِنْ حِكَمِ اللهِ وَلِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ قَدْ يَمُوتُ عَلَ غَيْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،فَهَذِهِ لَا تَتَنَاوَلُهَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ ،فَمِنَ الشُّرُوطِ الْأَسَاسِيَّةِ أَنْ يَمُوتَ عَلَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا فِيهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَعْنَاهَا صَادِقًا فِيهَا ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُحَرِّمُهُ اللهُ عَلَى النَّارِ ،وَهَذَا أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ وَهُوَ مَا حَرَّرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ لِأَنَّ مُرَاعَاةَ الْمَوْتِ عَلَى هَذِهِ

الْأُمُورِ هُوَ الْمُعْتَبَرُ ،لِأَنَّهُ قَدْ يَفُوتُهُ شَيْءٌ فَيَقَعُ فِي نَاقِضٍ مِنْ نَوَاقِضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَوْ يَتْرُكُ شَرْطًا مِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ فَلَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَعْدَ .

قَالَ الْمُعَلِّقُ مُتَمِّمًا لِكَلَامِ صَاحِبِ التَّيْسِيرِ : (فَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ؛لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ هُوَ انْجِذَابُ الْقَلْبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِأَنْ يَتُوبَ مِنَ الذُّنُوبِ تَوْبَةً نَصُوحًا ،فَإِذَا مَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ نَالَ ذَلِكَ .انْتَهَى)

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعٌ : يَعْنِي اسْتَوْفَى شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ مُلْتَزِمًا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَبِمُقْتَضَيَاتِهَا وَثَابِتًا عَلَيْهَا .

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ،الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ) وَقَالَ الصَّحَابَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَتَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ،إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ

فَلَا يَأْمَنُ الْإِنْسَانُ مَكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَكُونُ دَائِمًا خَائِفًا مِنَ الْفِتَنِ وَالِانْحِرَافِ وَيَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى الْهِدَايَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَتَوَفَّانَا مُسْلِمِينَ وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِالصَّالِحِينَ

إِنَّ رَبَّنَا لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ .

قَامَ بِتَفْرِيغِ هَذِهِ الْمَادَّةِ وَعَرْضِهَا عَلَى الشَّيْخِ أَخُوكُمْ فَوَّازٌ الْجَزَائِرِيُّ